المتأخر قد احدث تحولاً جذرياً في علاقتنا بمنطوقات خطاباتنا ذاتها؟ يجيب على هذا السؤال بالقول: «ان هذا التثبيت الذي تمارسه الكتابة، يحدث ليحل محل فعل الكلام ذاته، أي انه يحدث في اللحظة التي كان بإمكان الكلام أن يحدث فيها»[1].

تطرح هذه الفكرة سؤالاً آخر وهو علاقة القراءة بالكتابة. فاذا كانت الكتابة تستدعي القراءة، فان القارئ يأخذ وضعية المحاور، والكتابة تأخذ وضعية المنطوق. إلا ان القارئ في حالة النص المكتوب لا يسأل، والكاتب لا يجيب عن اسئلة القارئ. وهكذا فان القارئ يظل غائباً عن فعل الكتابة، كما أن الكاتب يظل غائباً عن فعل القراءة.

ان ما يهمنا من هذا النقاش الفلسفي التأويلي، المتعدد والمتشابك، هو النتائج المترتبة عنه وخاصة في علاقة الكتابة بالعالم. فاذا كان استقلال النص من الدائرة اللغوية يخلق انقلاباً حقيقياً، يمسّ كل من العلاقات التي تربط بين اللغة والعالم، والعلاقة التي تربط اللغة بكل الذوات المعنية، أي ذات المؤلف وذات القارئ، فان هذا يعني ان الوظيفة الاساسية للغة ومنها الكتابة هي الوظيفة الاحالية، الاحالة إلى العالم وبالتالي الخروج من دائرة اللغة، ومن الدائرة التأويلية ومن اصل اللغة الذي لا اصل له. واذا قلنا أن لا وجود لنص بدون احالة ما، فان مهمة القراءة باعتبارها تأويلاً، هي تأسيس الإحالة.

لم تقع التأويلية الرومانسية أو الانطولوجية أو الفلسفية في الدائرة اللغوية المغلقة فحسب، بل وقعت فيه البنيوية كذلك، عندما انغلقت على النص، وبحثت في المنطق الداخلي والمحايث للنص، من دون أن تهتم بأن كل تثبيت للنص يمر عبر الاحالة إلى العالم. لكن التأويلية المنهجية تقوّم فعل القراءة، بوصفه فعلاً منتجاً، أو كما قال ريكور، أن نقرأ يعني أن ننتج نصاً جديداً.

لذلك كله، فإن ما يهم فلسفة اللغة في نظره هو أن تكشف، داخل هذه الوظائف المتعالقة، عن الوسائط الثلاثة الكبرى التي لا تجعل من اللغة هدفاً لذاته، بل واسطة بين الإنسان والعالم وبين الإنسان والإنسان وبينه وبين ذاته.

و ان إحدى المهام التي يجب على الفلسفة عموماً وفلسفة اللغة خصوصاً ان تشتغل عليها بها، هي الحفاظ على الاستخدامات المتعددة للغة، والمسافة بين هذه الاستخدامات التي تتراوح في تنوعها بين لغة العلم مروراً باللغة السياسية واللغة العادية وانتهاء باللغة الشعرية.

ضرورة وجود من مخصوص لتأويل النصوص. لذلك يحدده بقوله إن التأويل هو «فن تأويل النصوص في سياق مخالف لسياق مؤلفيها وجمهورها الأولي، يهدف إلى اكتشاف أبعاد جديدة للواقع»[1]. ولكن التأويل يتعدى في نظره تأويل النص، إلى مستوى الحوار والخطاب، عبر فعل المحادثة.

لا شك في أن التأويل ينشأ من استقلال النصوص عن مؤلفيها، وبالتالي يطرح صعوبات في الفهم، لان النص يصبح مستقلاً عن قصد المؤلف ومعنى العمل والقارئ الأصلي. ومن الناحية المعرفية الابستمولوجية، فان التأويل معارض للتفسير، وهناك جدل واسع حول الموضوع منذ نشوء التأويلية.

لذلك يرتبط التأويل، في منظور ريكور، بمفهوم الامتلاك وبفكرة المباعدة، بحيث يكون التأويل محاولة للتملك ومناهضة للمباعدة، ويتحقق في فعل القراءة بوصفها انجازاً للامكانيات الدلالية المفتوحة في النص، ويكون الفهم عبارة عن «حركة المعنى نحو المرجع، وما قاله عن العالم»[2].

يقترح ريكور تسمية التأويل الجديد الذي قال به، بالتأويل الملائم الذي حدده من حيث دوره وبالمقارنة مع اشكال التأويلات السابقة، معتقداً أنه أحدث انقلاباً في مفهوم التأويل مقارنة بتراث التأويلية. ذلك انه اذا كان التركيز في التراث التأويلي منصباً على قدرة المستمع والقارئ على أن ينقل نفسه إلى داخل الحياة الروحية للمتكلم والكاتب، فانه من الآن فصاعداً سيكون التركيز على تتبع دينامية العمل في حركته عما يقوله، وبالتالي على تغيير في حركة الدائرة التأويلية من ذات القارئ إلى ذات الكاتب، إلى دائرة القارئ العالم عبر النص.

وحدد النص بقوله: «لنسم نصًا كل خطاب تثبته الكتابة. تبعاً لهذا التعريف يكون تثبيت بالكتابة مؤسساً للنص نفسه»[3]. ولكن ما معنى أن يكون النص خطاباً، إذا علمنا أن الخطاب في جزئه الاساسي منطوقاً؟ وما هي العلاقة بين الكتابة والكلام أو بين النص والكلام، أو بين النص والخطاب بوصفه كلاماً؟ يناقش ريكور هذه الاسئلة ضمن سياق اطروحات دي سوسير، ويقر بأن هناك أسبقية سيكولوجية وسوسيولوجية للكلام على الكتابة. الا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ألا يمكن القول إن ظهور الكتابة